القـرآن الكـريـم واللَّهجـات العـربيّـة (دراسة لغويّة)

أ.د. البشرى السّيّد مُحَمَّد هاشم(*)

المبحث الأوَّل: علاقة القرآن الكريم باللَّهجات العربيّة:

يُعَدُّ القرآن الكريم ـ كلام الله المُنْزَل ـ مصدراً مهماً من مصادر اللَّهجات العربيّة القديمة وخير شاهد لها، لاشتماله على ألفاظ عديدة ترجع إلى لهجات العرب المختلفة، التي هي جزء لا يتجزأ من اللُّغة العربيّة الفصحى، بل هي أساسها؛ لأنَّ اللَّهجات العربيّة هي طريقة العرب في كيفيّة أداء هذه اللُّغة، ونطق أصواتها، وتراكيبها، وتوضيح دلالة ألفاظها. فقد أُنزل القرآن الكريم بلسانهم مخاطباً إيّاهم، قال تعالى في وصفه: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**﴾ [الشُّعراء: ١٩٢–١٩٥]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [يوسف: ٢].

وهذا اللِّسان العربيّ ـ الذي شرَّفه الله تعالى بنزول القرآن الكريم به ـ متعدّد اللَّهجات، لتعدُّد القبائل النَّاطقة به، فكان من حكمة الله تعالى، ولإظهار إعجاز القرآن الكريم، وإبراز سحر لغته، أنْ تجد أفصح هذه اللَّهجات متسعاً في ألفاظ القرآن الكريم، فمثّل بذلك أوثق مصادرها، وخير حافظ لها. وقد قال العلماء: "لولا هذا الكتاب الكريم لما وُجد على الأرض أسود ولا أحمر يعرف اليوم ولا قبل اليوم، كيف كانت تنطق العرب بألسنتها، وكيف تقيم أحرفها،

(*) أستاذ دكتور (بروفيسور) مشارك، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلاميّة.

وتحقّق مخارجها"[1].

وقيل: "ألفاظ القرآن الكريم هي لبّ كلام العرب، وزبدته وواسطته، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء، وإليها مفزع حذاق الشُّعراء والبلغاء، وما عداها كالقشور بالإضافة إلى أطايب الثَّمر"[2].

كما قيل: "إنَّ لغة القرآن أصدق المقاييس للبحث في لغة العرب"[3].

ولهذا يكون القرآن الكريم بقراءاته وتفسيره مصدراً أصيلاً للهجات العربيّة القديمة، فبحفظه الذي تكفَّل به الله تعالى حفظت العربيّة بلهجاتها؛ فقد قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: ٩].

إذاً فالقرآن الكريم هو المعجزة الكبرى الخالدة على مرّ الزَّمان، جاء إلى الأرض فراغ خيال العرب، وأخذ أسماعهم بما فيه من آيات محكمات. لقد اندفع المسلمون يدرسونه ويحفظونه متفقهين متعبدين، وكان الاعتماد في نقل القرآن الكريم على حفظ الصُّدور، كما جاء في صفة أُمَّة مُحَمَّد ﷺ، قال رسول الله ﷺ: (أناجيلهم في صدورهم)[4].

لقد أُحيط نص القرآن الكريم بالعناية الشَّديدة المنقطعة النَّظير، فأقام الله تعالى له أئمة ثقاة تجرَّدوا لتصحيحه، وبذلوا أنفسهم في إتقانه، وتلقوه من النَّبيّ ﷺ حرفاً حرفاً، لم يهملوا منه حركةً ولا سكوناً، ولا إثباتاً ولا حذفاً، ولا دخل

(١) الرَّافعيّ: تاريخ آداب العرب، ٧١/٢.

(٢) أحمد مختار: البحث اللُّغويّ عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٨م، ١٧–١٩.

(٣) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اللُّغات السَّاميّة، الاعتماد، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ٢٢٦.

(٤) ابن الجرزي: النَّشر، دار الفكر، دون تاريخ، ٦/١.

عليهم في شيء منه شك ولا وهم[1]. لقد تلقاه أصحاب رسول الله ﷺ على تلك الرِّعاية والأمانة، فقد كان رسول الله ﷺ يستمع إليهم وهم يقرأون القرآن، فعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (اقرأ عليَّ)، قال: فقرأت سورة النِّساء فلمَّا بلغت ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيدًا**﴾ [النِّساء: ٤١]، قال ﷺ : (حسبك الآن)، قال: فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان[2].

كما كان النَّبيّ ﷺ يستمع إلى قراءة أصحابه، أمر ألا يكتب شيء من كلامه سوى القرآن حتَّى لا يختلط فيما بعد على المسلمين القرآن والسُّنَّة. روى عطاء بن يسار عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن، فَمَنْ كتب عني شيئاً سوى القرآن فليمحه)[3].

مِمَّا سبق يتبيَّن أنَّ النَّبيّ ﷺ كان حريصاً على الحفاظ على النَّص القرآنيّ، لذلك كان القرآن ـ وسيظلّ ـ هو النَّص العربيّ الصَّحيح، المتواتر، المُجْمَع على تلاوته بالطُّرق التي وصل بها إلينا في الأداء، والحركات، والسَّكنات، فلم يتوفَّر لنص ما توفَّر للقرآن الكريم من عناية وضبط؛ بل لم تعرف البشريّة كتاباً أُحيط بالعناية، وحوفظ على أصواته، وكلماته، وتراكيبه، وكيفيّة ترتيله بلهجاته المختلفة، مثل القرآن الكريم، لهذا كان مع قراءاته التي تحرّوا ضبطها حُجَّة في

(١) المرجع السَّابق نفسه، والصفحة ذاتها.

(٢) البخاريّ، الصَّحيح، دار الجيل، بيروت، دون تاريخ، ٢٤١/١.

(٣) صحيح ابن حبان، ٢٦٥/١، والمستدرك على الصَّحيحين، ٢١٦/١، قيل: "هذا الحديث صحيح على شرط الشَّيخين ولم يخرجاه".

اللُّغة لا سيما اللَّهجات.

فنص القرآن الكريم هو النَّص الوحيد الذي تكفَّل الله عزّ وجلّ بحفظه من أنْ تطاله يد التَّحريف أو التَّصحيف، فنأى بحفظ الله تعالى عن تعدُّد الرِّوايات، وتطوُّر الألفاظ على تغلُّب السِّنين، وذكر: "أن تلك الأمور أسقطت الاحتجاج بكثير من الشَّواهد الشِّعريّة والنَّثريّة، ولم يسلم منها إلاَّ القرآن الكريم، فاستحقّ بذلك أنْ تكون له الصَّدارة في الدِّراسات اللُّغويّة، والتَّطبيقيّة منها على وجه الخصوص، إذا ما أريد لها سلامة المنهج ودقة النَّتائج".

أمَّا ما دار حول ورود القرآن باللَّهجات العربيّة المختلفة؛ فقد اختلف العلماء في اللَّهجة التي نزل بها القرآن الكريم، وتباينت وجهة نظرهم في نزول القرآن بلهجة واحدة من لهجات العرب أو بعدد منها أو بها جميعاً. وقد انحصرت أوجه الخلاف فيما يأتي[1]:

أوَّلاً: نزول القرآن بلهجة قريش فحسب، ولم ينزل بغيرها من لهجات العرب:

وهو ما ذهب إليه وأيَّده فريق كبير من العلماء، مستدلين على ذلك بما يلي:

[١] ما رُوِيَ عن عثمان بن عفان ﷺ أنَّه قال للرَّهط القرشيين الثَّلاثة الذين كلَّفهم بنسخ القرآن في المصاحف مع زيد بن ثابت ﷺ: "إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من عربيّة القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنَّ القرآن

(١) عبد الجليل عبد الرَّحيم: لغة القرآن الكريم، مكتبة الرِّسالة، الأردن، ط/١، ١٤٠١ هـ ١٩٨١م، ٤٢.

أنزل بلسانهم"(١).

[٢] وبما أخرجه أبو داود عن طريق كعب الأنصاريّ أنَّ عمر بـن الخطـاب ﷺ كتب إلى ابن مسعود "أنَّ القرآن نزل بلسـان قـريش، فـاقرئ النَّـاس بلغـة قريش لا هذيل"(٢).

[٣] وبما اتّفقت عليه كلمة العلماء الأقدمين أنَّ قريشاً هي أفصح القبائـل على الإطلاق، وأعظمهـا أثـراً في تهـذيب اللُّغـة، فـبحكم نفوذهـا السِّياسـي، ومركزها الدِّينيّ والتَّجاريّ؛ التقت بجميع قبائل العـرب، واقتـبس منهـا أفصـح ألفاظها، وأعذبها في الكلام، وأخفها جرياناً على اللِّسان، ثُمَّ أضافته إلى لغتهـا، حتَّى غدت على مرِّ الزمان أجمع وأصفى لهجات العرب، فكان مـن الطَّبيعـيّ أنْ ينزل القرآن بها.

قال ابن فارس: "أجمع علماؤنا أنَّ قريشاً أفصح ألسنة العـرب، وأصـفاهم لغةً، وذلك أنَّ الله جلّ ثناؤه اختارهم مـن جميـع العـرب، واصـطفاهم، واختـار منهم نبي الرحمة ﷺ، فجعل قريشاً قُطَّـان حرمـه، وجـيران بيتـه الحـرام وولاتـه، فكانت وفود العرب مـن حجاجهـا، يَفِـدُون إلى مكـة للحـج، ويتحـاكمون إلى قريش في أمورهم، كانت قريش تعلّمهم مناسكهم وتحكم بينهم.. و كانت على فصاحتها، وحسن لغاتها، ورقة ألسنتها، إذا أتتهم الوفود من العرب، تخيّروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم، وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيّروا من تلك

(١) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاريّ، مناهل العرفان، بيروت، دون تاريخ، ٩/٩.
(٢) ابن كثير: فضائل القرآن، ص ٣١.

اللُّغات إلى سلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب"[1].

وعن قتادة قال: "كانت قريش تجتبي أفضل لغات العرب حتَّى صارت لغتها أفضل لغاتهم، فنزل القرآن بها، وتحدَّى العرب وفصحاءهم أنْ يأتوا بمثله تحديّاً يدلُّ على عظيم منزلة البلاغة عندهم"[2].

وقد استنكر ابن قتيبة قول مَنْ قال: "إنَّ القرآن نزل بغير لغة قريش محتجاً بقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ**﴾ [إبراهيم: ٤]، وقد جزم أبو علي الأهوازيّ أنَّ اللُّغة التي نزل بها القرآن الكريم لم تتعد قريشاً مع بطونها"[3].

هذه هي أدلة الفريق الأوَّل التي استندوا عليها إلاَّ أنَّ كثيراً من العلماء قد ناقشها ومنع صحة الاستدلال بها.

قال القاضي أبو بكر الباقلانيّ: معنى قول عثمان: "نزل القرآن بلسان قريش" أي معظمه، وأنَّه لم تقم دلالة قاطعة على أنَّ جميعه بلسان قريش، فإنَّ ظاهر قوله تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [الزُّخرف: ٣]، أنَّه نزل بجميع ألسنة العرب.

ومن زعم أنَّه أراد مضر دون ربيعة ـ وهما دون اليمن ـ أو قريشاً دون غيرها فعليه البيان، لأنَّ اسم العرب يتناول الجميع تناولاً واحداً، ولو ساغت

---

(١) ابن فارس: الصَّاحبيّ، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٣م، ص ٥٥، وأحمد رضا: معجم متن اللُّغة، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٣٨٨هـ ١٩٥٨م، ٥٢/١.

(٢) السُّيوطيّ: المزهر، ١١/١، أحمد رضا: معجم متن اللُّغة، ٤٣/١٠.

(٣) ابن حجر: فتح الباري، ٢٧/٩، السُّيوطيّ: الإتقان، المكتبة الثَّقافيّة، بيروت، لبنان، ١٩٧٣ م، ٤٧/١.

هذه الدَّعوى لساغ الآخر أنْ يقول: نزل بلسان بني هاشـم مـثلاً؛ لأنَّهـم أقـرب نسباً إلى النَّبيّ ﷺ"[1].

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: "الشَّعر ديـوان العـرب؛ فـإذا خفـي علينا حرف من القرآن الذي أنزله الله تعالى بلغة العـرب، رجعنـا إلى ديوانهـا، فالتمسنا ذلك منه"[2].

يقول العلماء: "لو كان القرآن قد نزل بلسان قريش، لما احتـاج النَّـاس إلى الشِّعر للاستشهاد به على فهم المشـكل والغريـب، وكـان علـيهم الرُّجـوع إلى شعر قريش، ونثرهم للاستشهاد به في توضيح ما فيه من مشكل وغريـب لا إلى شعر العرب وكلامهم، ثُمَّ إنَّ في قولهم بوجود مشكل وغريب، وحـروف خفـي أمر فهمها على العلماء هو دليل في حد ذاته على أنَّـه لم ينـزل بلسـان قـريش، وإنَّما نزل بلسان عربيّ مبين"[3]. ولو كان نزل بلسـانهم لمـا خفـي أمـره علـى رجال كانوا أقرب النَّاس إلى رسول الله ﷺ، مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كذلك في رجوع ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ إلى الأعراب يسألهم عن ألفـاظ وردت في القرآن الكريم أشكل عليه فهم معناهـا، وفي اعتمـاده في تفسـير القـرآن علـى الشِّعر، في كـل ذلـك دلالـة واضـحة علـى أنَّ القـرآن لم ينـزل بلسـان قـريش فحسب. أمَّا ما اتّفقت عليه كلمة العلماء القدامى، وأكثر المحدثين من أنَّ لهجـة

(١) ابن حجر: فتح الباري، ٩/٩.

(٢) السُّيوطيّ: الإتقان، ١١٩/١.

(٣) جواد علي: المفصل، ٦٦٠/٨.

قريش أفصح العرب وأشهرها، لا يستدعي أنْ يكون غيرها من اللَّهجات العربيّة قد اشتهر بالفصاحة، أو أنَّه ابتعد عنها حتَّى لا ينزل القرآن إلاَّ بها. ونقول: إنَّ هذا الرَّأْي متعارض مع ما في القرآن من قراءات صحيحة جاءت على غير لهجة قريش. وقد ذكر كثير من العلماء أنَّ علم القراءات القرآنيّة ـ ذلك العلم الذي اهتم به علماؤنا الأقدمون اهتماماً كبيراً بضبطه وتقييده ـ يوضح اشتمال القرآن على لهجات العرب المختلفة.

قال أبو عمرو بن عبد البرّ: "قول مَنْ قال: نزل بلغة قريش معناه عندي: في الأغلب؛ لأنَّ لغة غير قريش موجودة في جميع القرآن من تحقيق الهمزة ونحوها، وقريش لا تهمز"(١).

وما آية ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ**﴾ إلاَّ دليلاً وحُجَّة على نزول القرآن بلسان العرب، لا بلسان قريش أو بلسان قبيلة معيّنة، فالآية تقول: وما أرسلنا إلى أُمَّة من الأُمم يا محمد من قبلك ومن قبل قومك رسولاً إلاَّ بلسان الأُمَّة التي أرسلناه إليها ولغتهم، ليبيِّن لهم، ليفهمهم ما أرسله الله تعالى إليهم من أمره ونهيه، ليثبت حُجَّة الله تعالى عليهم، ثُمَّ التَّوفيق والخذلان بيد الله تعالى"(٢). وهذه الأُمَّة هم العرب قاطبة.

كذلك ذكرت ألفاظ كثيرة جاءت في القرآن الكريم بغير لهجة قريش، ومِمَّا يدلُّ على ذلك قيل: "إنَّ كُلّ مصر من أمصار العرب كانوا يفخرون على

(١) الزَّركشيّ: البرهان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط/٢، دون تاريخ، ٣٨٠/١.

(٢) الطَّبريّ: التَّفسير، ١٢١/١٣.

غيرهم بأنَّ القرآن أحكى للغتهم عن غيرها"، قال الجاحظ[1]: "قـال أهـل مكـة للشَّاعر محمد بن المُنَاذر[2]: ليست لكم معاشر أهل البصرة لغـة فصـيحة، إنَّمـا الفصاحة لنا أهل مكة. فقال ابن المُنَاذر: أمَّـا ألفاظنـا فـأحكى الألفـاظ للقـرآن، وأكثرها له موافقة، فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم، ثُمَّ قال: أنـتم تُسَـمَّون القدر: "بُرْمَةً"، وتجمعونها على "بِرام"، ونحن نُسمِّيها: "قِدر"، ونجمعها علـى "قُدور"، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿**وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ**﴾ [سبأ: ١٣]، وأنتم تُسَـمُّون البيـت إذا كان فوق البيت: "عُلِّيَّة" وتجمعونها على "عَلالي"، ونحن نُسمِّيه: "غرفـة" ونجمعه على "غُرفاتٍ" و"غرف"، والله تعالى يقول: ﴿**غُرَفٌ مِّـن فَوْقِهَـا غُـرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ**﴾ [الزُّمر: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿**وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ**﴾ [سبأ: ٣٧]، وأنـتم تُسمُّون الطَّلعَ: "الكافور" و"الإغريض"، ونحن نُسمِّيه: "الطَّلْع"، والله تعـالى يقول: ﴿**وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ**﴾ [الشُّعراء: ١٤٨]، ثُـمَّ يقـول الجـاحظ: "إنَّ ابـن روح عَدَّ عشر كلمات لم أحفظ أنا منها إلاَّ هذا".

لهذا استنكرَّ عبده الرَّاجحيّ هذا الرَّأْي، وحمل على القائلين به كثيراً فقال: "تردَّد الكتب كـثيراً أنَّ القـرآن أنـزل بلغـة قـريش، ومـع أنَّ القـرآن الكـريم بقراءاته المتواترة والشَّاذة يناقض هـذا الـزَّعم...؛ فـإنَّ النُّصـوص الكـثيرة الـتي يردّدها عن اللُّغات التي نزل عليها القرآن كافية لنقض ذلك أيضاً، إذ رُوِيَ عـن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنَّه قال: أنزل القـرآن علـى سـبع لغـات، منهـا

(١) الجاحظ: البيان والتَّبيين، ١/٨٧.

(٢) هو مولى بني صبير، كان إماماً في اللُّغة وكلام العرب، وكان معاصراً للأصمعيّ وحلف الأحمر.

خمس بلغة العجز من هوازن، وهم الذين يقال لهم: "عليا هوازن"، وهم خمس قبائل أو أربع منها سعد بن بكر، وجشم بن بكر، ونصر بن معاوية، وثقيف، ثُمَّ يقول: أليس عجيباً حقّاً أنْ يجمع هذا النَّص تلك القبائل دون أنْ يذكر قريشاً من بين مَنْ نزل على لغتهم؟ أليس الأمر كما ذكر من أنَّ لهجة قريش اكتسبت هذا التَّمجيد عند القدماء لسبب واحد فقط، وهو أنَّ النَّبيّ قرشيّ، نحسب أنَّ الأمر كذلك[1]. والرَّأْي عندنا أنَّ مَنْ حقّ لهجة قريش أنْ تكسب هذا التَّمجيد، لكن هذا لا يمنع أنْ يكون غير لهجتها موجوداً في القرآن الكريم والدَّلائل على ذلك واضحة مما سبق ذكره.

ثانياً: نزول القرآن باللُّغة الأدبيّة:

ذهب إلى هذا الرَّأْي علماء اللُّغة المحدثون بناءً على ما توصَّل إليه علم اللُّغة الحديث من نتائج مدروسة وقوانين عامّة تخضع لها جميع اللُّغات، كصراع اللُّغات ونتائجه، وقوانين تطوُّر اللُّغة، وتشعيبها إلى لهجات، ثُمَّ صراع هذه اللَّهجات إذا احتكت الصِّياغة فيما بينها، وتوّحدها في لغة مشتركة.

كذلك معظم الباحثين في تاريخ الأدب العربيّ ذهبوا إلى أنَّ القرآن الكريم نزل بلغة العرب التي كانوا ينظِّمون بها شعرهم، ويلقون بها خطبهم، لكنهم اختلفوا في تحديد هذه اللُّغة، ففريق يذهب إلى أنَّ هذه اللُّغة متمثّلة في لهجة قريش، والفريق الآخر يذهب إلى أنَّها لغة مضر، ويتوقَّف الباقون عن التَّعيين دون أنْ يرتضي بأقوال السَّابقين.

(١) عبده الرَّاجحيّ: اللَّهجات العربيّة في القراءات، ٤٣–٤٤.

أمَّا الأغلبية فيستندون على أنَّ الاحتكاك الذي بين لهجات اللُّغة العربيّة، قد كتب الفوز فيه للهجة قريش؛ لنفوذها الدِّينيّ، والسِّياسيّ، واللُّغويّ بين العرب[1]. مِمَّا مكنها من أنْ تصبح لغة العرب جميعاً؛ تلك هي لهجة قريش، ويقولون: "فلا غرابة إذن في أنَّ القرآن وقد جاء بلغة قريش، كان مفهوماً لدى جميع القبائل، وكان يؤثِّر في العرب جميعاً ببيانه وبلاغته، فقد نزل بعد أنْ تمّ للهجة قريش التَّغلُّب على اللَّهجات العربيّة الأخرى، وبعد أنْ أصبحت لغة الآداب لسائر العرب"[2].

أمَّا الذين صرَّحوا بأنَّ اللُّغة الأدبيّة التي شاعت في شبه الجزيرة العربيّة قبل الإسلام، هي اللُّغة المضريّة، فهي وإنْ كانت اللَّهجة القرشيّة إحدى فروعها إلاَّ أنَّهم لم يذكروا لنا دليلاً على هذا التَّصريح، ولعلّهم استندوا على قول سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: "نزل القرآن بلغة رجل من مضر"[3] أو أنَّهم لم يحبذوا أنْ تكون اللُّغة الأدبيّة لهجة قبيلة وحدها؛ بل شارك في نشأتها وانتشارها غيرها من اللَّهجات الفصيحة، ولهجات هذه القبائل من مضر كُلّها فصيحة[4].

أمَّا مَنْ لم يرتض القول بأنَّ لهجة قريش هي اللُّغة الأدبيّة، فإنَّه لم يعتبر ما ذكروه من أسباب كافياً لتأييد ما ذهبوا إليه، وقال: "إنَّ آراء الدَّارسين المحدثين لا تقوم على أساس لغويّ علمي صحيح؛ لأننا لا نستطيع أنْ نحكم على لغة من

(١) علي عبد الواحد وافي: فقه اللُّغة، ١٠٨، أميل يعقوب: فقه اللُّغة، بيروت، لبنان، ط/١، ١٩٨٢ م، ص ١٢٤.

(٢) علي عبد الواحد وافي: فقه اللُّغة، ١١٢.

(٣) ابن كثير: فضائل القرآن، ص ٢.

(٤) عمر فروخ: تاريخ الأدب العربيّ، دار العلم للملايين، بيروت، ط/٦، دون تاريخ، ص ٣٦–٣٧.

اللُّغات خلال أقوال الرُّواة عنها خاصّة، وأنَّ هذه الأقوال ذاتها ينبغي أنْ نأخذها بشيء من الحيطة والحذر، لأنَّها كما نحسب لم تصدر إلاَّ عن تمجيد لقبيلة الرَّسول ﷺ، ولقد كنا نستطيع أنْ نحكم لو توافرت لدينا نصوص لغويّة من لهجات القبائل تتميَّز بها أمامنا لهجة قريش وغيرها، بحيث يظهر لنا تطوُّر هذه النُّصوص، إنَّ لهجة قريش استطاعت أنْ تسود غيرها من اللَّهجات، وأنْ تفرض نفسها لغة نموذجيّة مشتركة يصطنعها الشُّعراء في شعرهم، والخطباء في خطبهم، كما وأننا لا نملك هذه النُّصوص، ولا نعرف شيئاً عن هذا التَّطوُّر، لأننا وجدنا أنفسنا فجأة أمام لغة نموذجيّة مشتركة، قال لنا عنها القدماء وتبعهم المحدثون: إنَّها لغة قريش، فإننا نظنّ أنَّ ذلك كُلّه أمام المنهج اللُّغويّ العلميّ ليس إلاَّ ضرباً من الحدس والتَّخمين"[1].

ثُمَّ أمامنا هؤلاء الشُّعراء المشهورين الذين يعرفون بأصحاب المعلَّقات، والذين عَدَّ العرب أشعارهم نماذج عليا للُّغة العربيّة فأيُّهم كان قرشياً؟ أليس لافتاً أنْ تكون قريش "أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللِّسان عند النُّطق، وأحسنها مسموعاً، وأبينها إبانة عمَّا في النَّفس"، ولا يكون منها شاعر واحد يكون رمزاً لهذه الإبانة[2]، ثُمَّ قال الرَّأْي عندنا هو ما نحسبه موافقاً لطبيعة التَّطوُّر، وهو أنَّ شبه الجزيرة العربيّة، كانت بها لهجات كثيرة مختلفة، تنسب كُلّ لهجة منها إلى أصحابها، وإلى جانب هذه اللَّهجات، كانت

(١) عبده الرَّاجحيّ: اللَّهجات العربيّة في القراءات، ص ٧٦.

(٢) عبده الرَّاجحيّ: اللَّهجات العربيّة في القراءات، ص ٥٦.

هنالك لغة مشتركة؛ تكونـت علـى مـرّ الـزَّمن بطريقـة لا سـبيل لنـا الآن إلى تبيينها، وهذه اللُّغة المشـتركة لا تنتسـب إلى قبيلـة بـذاتها، لكنهـا تنتسـب إلى العرب جميعاً ما دامت النُّصوص الشِّعريّة والنَّثريّة لا تكاد تختلف فيما بينها[1].

مِمَّا تقدّم يتضح لنا اختلاف العلماء في تحديد هذه اللُّغة الأدبيّة، وتلاحـظ أنَّ رَأْي الأغلبيّة ذهب إلى أنَّ اللُّغة الأدبيّة كانت متمثّلة في لهجة قريش، وبذلك نجدهم يتفقون مع أصحاب الرَّأْي السَّابق، يقول عبد الجليل عبد الـرَّحيم: "إلاَّ أنَّهم قد امتازوا عنهم بحسن عرضهم للفكـرة نفسـها، والاستشـهاد عليهـا بمـا توصَّل إليه علم اللُّغة من نتائج، ولولا أننا قد وجدنا مَنْ يعارضهم ويردّ عليهم فكرتهم؛ لاعتبرنا هذا الرَّأْي مع سابقه رَأْياً واحداً"[2]. ويواصـل حديثـه قـائلاً: "وخلاصة ما يمكن قوله: إنَّ اللُّغة الأدبيّة الخالية من عيوب سائر اللَّهجات قـد تكوَّنت بفعل الاتّصال بين سائر القبائل العربيّة، ومحاولة شعرائهم وخطبـائهم أنْ يتكلّموا بلغة لا يكون فيها انتقاد لهـم مـن سـائر القبائـل، أمَّـا نسـبتها إلى قريش فهي من باب التَّغليب؛ لأنَّ قريشاً كانت تتكلّم لغة عربيّة فصحى خالية من عيوب كثير من اللَّهجات، وكان لها الجهد الحقيقـيّ في تهـذيب هـذه اللُّغـة وانتشارها، ولكن هذا لا يعني عدم مشاركة غيرها من القبائـل في هـذا الجهـد، لذا فإننا نجد في اللُّغة الأدبيّة بعض ما تعارفت القبائل جميعاً على فصاحته منها قريش، إلاَّ أنَّها لم تلتزم النُّطق به في لغة المحادثة، فالهمز ـ مثلاً ـ مع أنَّه فصيح لم

(١) عبده الرَّاجحيّ: اللَّهجات العربيّة في القراءات، ص ٥٦.

(٢) عبد الجليل عبد الرَّحيم: لغة القرآن، ص ٥٦.

تلتزمه قريش، بل آثرت ما اعتاد عليه لسانها من التَّسهيل، وإنْ كان هو الآخر فصيحاً ونزل به القرآن أيضاً"[1].

ثالثاً: نزول القرآن الكريم بجميع لهجات العرب:

وقد استندّ أصحاب هذا الرَّأْي على قول الله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**﴾ [الشُّعراء: ١٩٢–١٩٥]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**﴾ [الزُّخرف: ٣]، وقوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**﴾ [طه: ١١٣]، وقوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا**﴾ [الشُّورى: ٧]، كما استندوا على الرِّوايات الواردة عن الصَّحابة ـ رضي الله عنهم ـ والتَّابعين وغيرهم، بأنَّ ألفاظاً كثيرة من القرآن الكريم قد جاءت بلغات العرب المختلفة، فقد أخرج أبو عبيدة عن طريق عكرمة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله تعالى: ﴿**وَأَنتُمْ سَامِدُونَ**﴾ [النَّجم: ٦١]، قال: "الغناء بلغة أهل اليمن"، وأخرج عن الضَّحّاك في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ**﴾ [القيامة: ١٥]، قال: "ستوره بلغة أهل اليمن". وأخرج أبو بكر الأنباريّ في كتاب: "الوقف" عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: "الوزر: ولد الولد بلغة هذيل". وأخرج فيه عن الكلبيّ قال: "المرجان: صغار اللُّؤلؤ بلغة أهل اليمن". وفي مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ﴿**يَفْتِنَكُمُ**﴾ يضلكم بلغة هوازن، ﴿**بُورًا**﴾: هلكى بلغة عمان، ﴿**لَا يَلِتْكُم**﴾: لا ينفعكم بلغة بني عبس، و﴿**مُرَاغَمًا**﴾: منفسحاً بلغة

(١) المرجع السَّابق، ص ٥٩.

هذيل[1].

و تذكر كتب التَّراجم أنَّ كتباً كثيرة قد أُلِّفت في لغات القرآن، منها:

[١] لغات القرآن: للفرَّاء.

[٢] لغات القرآن: للأصمعيّ.

[٣] لغات القرآن: لأبي زيد[2].

يقول العلماء: "وهذه الكتب الثَّلاثة لم يصل إلينا منها شـيء"[3]، إلاَّ أنَّـه قد وصل إلينا من الكتب المؤلَّفة في هذا الموضوع كتابان:

الأوَّل: لأبي عبيد القاسم بن سلام تحت عنوان: "مـا ورد في القـرآن مـن لغات القبائل"، أخبر به علي بن الفضـل المقدسـيّ بإسـناده إلى ابـن عبـاس ـ رضي الله عنهما ـ، وقد ذكرها مرتّبة حسب سور القرآن الكريم، فابتـدأ بسـورة البقرة، ثُمَّ أخذ يسرد الألفاظ القرآنيّة، موضِّحاً معناها، مبيِّناً القبيلة التي تنتسب إليها كُلّ لفظة منها.

وهـذه الرِّسـالة موجـودة بهـامش تفسـير الجلالـين الطَّبعـة الأولى، وقـد اختصرها السُّيوطيّ، وأثبتهـا في كُـلّ مـن كتابيـه: "معـترك الأقـران في إعجـاز القرآن"[4]، و"الإتقان في علوم القرآن"[5]، إلاَّ أنَّه قد خالف في ترتيبها حين جمع

(١) السُّيوطيّ: معترك الأقران، دار الفكر، دون تاريخ، ١٩٩/١.

(٢) ابن النَّديم: الفهرست، دار الميرة، ط/٣، ١٩٨٨م، ص ٥٩.

(٣) عبده الرَّاجحيّ: اللَّهجات العربيّة في القرءات، ص ٦١.

(٤) السُّيوطيّ: معترك الأقران، دار العلم، دون تاريخ، ١٩٩/١–٢٠٦.

(٥) السُّيوطيّ: الإتقان، ١٣٥/١.

الألفاظ المختصة بكُلّ قبيلة تحتها. ولغات القبائل التي تردّد ذكرها في الرِّسالة ما يقارب ثلاثين لهجة.

الثَّاني: "اللُّغات في القرآن" المخطوط، رواية ابن حسنون المقرئ المصريّ "ت ٣٨٦ هـ"، أخبر به إسماعيل بن عمرو بن راشد الحدّاد المقرئ، بسنده إلى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، وهذه المخطوطة قد طُبِعَت مستقلة في كتاب حقَّقه ونشره توفيق محمد شاهين[(١)]، و قد ذكر في هذا الكتاب لغات القبائل العربيّة التَّالية: لغة قريش، هذيل، كنانة، الأوس والخزرج، قيس عيلان، سعد العشيرة، وجرهم، واليمن، وأزد شنوءة، وكندة، وتميم، وحمير، ولخم، حضرموت، سدوس، الحجاز، أنمار، غسان، بني حنيفة ، تغلب، طي، وعامر بن صعصعة، مزينة، ثقيف، جزام، خثعم، مذحج[(٢)].

وقد عَدَّ السُّيوطيّ من وجوه إعجاز القرآن، احتواءه على جميع لغات العرب[(٣)]. ونقل تحت عنوان: "اللُّغات في القرآن" عن أبي بكر الواسطيّ قوله في كتاب: "في القراءات العشرة": "في القرآن من اللُّغات خمسون لغة، وذكر منها أربعين لغة من لغات القبائل العربيّة".

والرَّأْي عندنا أنَّ هذه الألفاظ التي تمثِّل الكلمة والكلمتين بالنِّسبة للهجة معيّنة في اللُّغة العربيّة لا تمثِّل لغة بنفسها ـ كما شاع في استعمال العلماء ـ

(١) ابن حسنون: اللُّغات في القرآن، تحقيق توفيق شاهين، مكتبة وهبة، القاهرة، ط/١، ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥م.

(٢) المرجع السَّابق، ٦٤/٤١.

(٣) السُّيوطيّ: معترك الأقران، ١٩٥/١.

إنَّما تمثِّل مدلولاً لهذه الكلمة داخل اللَّهجة التي هي جزء من اللُّغة، وقد يكـون هذا المدلول للكلمة مستعملاً، ومتعارفاً عليه بين معظم القبائل، ولـيس خاصـاً بقبيلة دون غيرها، ولا سبيل لتحقيـق ذلـك لتـداخل هـذه اللَّهجـات، وتقطـع أسباب المقارنة بينها وبين البعض.

وقد أوضح العلماء ذلك وقالوا: "إنَّه لا سبيل لتحقيق ذلك، لدروس هذه اللُّغات وتداخلها، وتقطع أسباب المقارنة بينها وبـين لغـة قـريش، الـتي مضـوا على استعمالها بعد القرآن وأطبقوا عليها، والعلماء إنَّما يذكرون من أكثر هـذه اللُّغات في القرآن الكلمة أو الكلمتين إلى الكلمـات القليلـة انظـر أيـن يقـع مبلغ ذلك من لغة بجملتها؟"[1].

كما أوضحوا أنَّ أكثر ما نقل من ذلك لم يُنْقَـل بروايـة صـحيحة متصـلة، وإنَّما هي أقوال بعضها ضعيف الإسناد، وبعضها منقطع، فلا توجب عليه غلبة الظَّنّ بزيادة اللُّغات عن سبع، ثُمَّ أنَّه لو سلَّم أنَّ في القرآن هذه اللُّغات كُلّها لم يقدح في أنَّ القرآن أنزل على سبع لغات مستعملة في سبع قبائل، فـإنَّ القبائـل يأخذ بعضها من البعض، وقد تكون اللُّغة في الأصل لقبيلة أخرى، وقد كانـت قريش بجوار البيت الحرام الذي يحج إليه العرب...، فمن السَّـهل أنَّ أكثـر هـذه اللُّغات تمثَّلت في لغة قريش لأنَّهم كانوا يستمعون إلى لغات القبائل في الحـج، فربما حلا لهم من لغات كُلّ قبيلة بعض كلمات أو بعـض لهجـات فاسـتعملوا ذلك، فصار لغة لهم، فلا تنافي بين كون اللُّغات خمسين بحسـب الأصـل وكونهـا

(١) الرَّافعيّ: إعجاز القرآن، مكتبة الإيمان، القاهرة، مصر، ط/١، دون تاريخ، ص ٥٤.

سبعاً بحسب الاستعمال والشُّهرة[1].

رابعاً: نزول القرآن على سبع لهجات:

ذهب إلى هذا الرَّأْي وأيَّده كثير من العلماء، وقد استندوا على الحديث الصَّحيح الذي روته كتب السُّنَّة بأسانيد متعدّدة، تربو على الثَّلاثين، كُلّها صحيحة متصلة، وجميعها تدور حول إنزال القرآن على سبعة أحرف. وقد صرَّح كثير من العلماء بتواتره، قال السُّيوطيّ: "ورد حديث نزول القرآن على سبعة أحرف من رواية جمع من الصَّحابة: أُبيّ بن كعب، وأنس، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن أرقم، وسمرة بن جندب، وسلمان بن صرد، وابن عباس، وابن مسعود، وعبد الرَّحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وعمر بن الخطاب، وعمر بن أبو سلمة، وعمرو بن العاص، ومعاذ بن جبل، وهشام بن حكيم، وأبي بكرة، وأبي جهم، وأبي سعيد الخدريّ، وأبي طلحة الأنصاريّ، وأبي هريرة، وأبي أيوب، فهؤلاء واحد وعشرون صحابيّاً"[2].

ومن هذه الرِّوايات الصَّحيحة أخرج البخاريّ في صحيحه قال: حدّثنا سعيد بن عفير: حدّثني اللَّيث: حدّثني عقيل عن ابن شهاب قال: حدّثني عبيد الله بن عبد الله أنَّ ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ حدَّثه أنَّ رسول الله ﷺ قال: (اقرأني جبريل على حرفٍ فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتَّى انتهى إلى

(١) عبد الجليل عبد الرَّحيم: لغة القرآن، ص ٦٠ . نقلاً عن: رسالة في الأحرف السَّبعة وعلاقتها بالقرآن، كلية أصول الدِّين جامعة الأزهر.

(٢) السُّيوطيّ: الإتقان، ٤٥/١، الجرزي: النَّشر، ٢١/١.

سبعة أحرف) [1].

وقال: حدّثنا سعيد بن عفير: حدّثني اللَّيث: حدّثني عقيل عن شـهاب قـال: حدّثني عروة بن الزَّبير أنَّ المسوّر بن مخزمة وعبد الرَّحمن بن عبد البارئ حـدّثاه أنَّهما سمعا عمر بن الخطاب ﷺ يقـول: سمعـت هشـام بـن حكـيم يقـرأ سـورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته، فإذا هـو يقـرأ علـى حـروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ، فكدت أساوره في الصَّلاة، فتصبّرت حتَّى سـلَّم، فلببته بردائه فقلت: مَنْ أقرأك هذه السُّـورة الـتي سمعتـك تقـرأ؟ قـال: اقرأنيهـا رسول الله ﷺ، فقلت: كذبت فإنَّ رسول الله ﷺ قد اقرأنيها على غير ما قـرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إنّي سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله ﷺ: (أرسله، اقرأ يا هشام)، فقـرأ عليـه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: (كذلك أنزلت)، ثُمَّ قـال: (اقـرأ يـا عمر)، فقرأت القراءة التي اقرأني، فقال رسول الله ﷺ: (كذلك أنزلت، إنَّ هـذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسَّر منه)[2].

وأخرج مسلم في صحيحه أنَّ النَّبيّ ﷺ كان عند "أضَاة بني غِفـار"[3] قـال: فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: إنَّ الله يأمرك أنْ تقرأ أُمّتك القرآن علـى حـرفٍ، فقـال: (اسأل الله معافاته ومغفرته، وإنَّ أُمّتي لا تطيق ذلك، ثُمَّ أتاه الثَّانية فقـال: إنَّ الله

(١) مسلم، الصَّحيح، ٥٦١/١، ابن حجر: فتح الباري، ٩/٩.

(٢) ابن حجر: فتح الباري، ٢٣/٩، الطَّبريّ: التَّفسير، دار المعارف، مصر، ص ٣١. وانظر: أبو عمرو الـدَّاني، الأحرف السَّبعة، تحقيق عبد المهيمن، مكتبة المهنا، مكة المكرمة، دون تاريخ، ٣٩/١.

(٣) أضَاة بني غفار: موضع بالمدينة.

يأمرك أنْ تقرأ أُمّتك القرآن على حرفين، فقال: (اسأل الله معافاته ومغفرته، وإنَّ أمتي لا تطيق ذلك)، ثُمَّ جاءه الثَّالثة فقال: إنَّ الله يأمرك أنْ تقرأ أمتك القرآن على ثلاثةِ أحرف، فقال: (اسأل الله معافاته ومغفرته، وإنَّ أُمّتي لا تطيق ذلك)، ثُمَّ جاءه الرَّابعة، فقال: إنَّ الله يأمرك أنْ تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيَّما حرفٍ قرأوا عليه فقد أصابوا[1].

وأخرج ابن جرير بسند عن أُبيّ بن كعب ﷺ قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل عند "أحجار المِراء"[2]، فقال: (إنّي بُعثت إلى أُمَّة أُمّيين، منهم الغلام، والخادم، والشَّيخ العاميّ والعجوز)، فقال جبريل: فليقرءوا على سبعة أحرف[3].

وإذا نظرنا في هذا الحديث بأسانيده المتصلة ورواياته الصحيحة، نجد أنَّه ليس فيه نص صريح يوضِّح نزول القرآن على سبع لهجات، ولا يمكن أنْ نحتج به إلاَّ إذا ثبت لنا أنَّ المراد من الأحرف السَّبعة: لهجات سبع، ولمعرفة المراد بالأحرف السَّبعة لا بُدَّ لنا من الوقوف على أقوال العلماء حول المراد بهذا الحديث، مع بيان أدلة كُلّ قول، وإثبات أصح الأقوال وترجيحها.

وقد تباينت أقوال العلماء حول المراد به، وبلغت حداً كبيراً، ذكر القرطبيّ أنَّ ابن حبّان أوصلها إلى خمسة وثلاثين قولاً، اختصر منها خمسة أقوال فقط

(١) مسلم، الصَّحيح، ٥٦٢/١.

(٢) أحجار المراء: موضع بقباء خارج المدينة.

(٣) الحديث في مسند الإمام أحمد برقم ٢٠٢٥٩، وفي سنن الترمذيّ برقم ٢٨٦٨ لفظ قريب، وأشار إليه فتح الباري في حديث رقم ٤٦٠٧.

أثبتها في مقدمة تفسيره[1].

قال السُّيوطيّ: اختلف في معنى الحديث على نحو أربعين قولاً[2]. وإذا نظرنا في هذه الآراء نجدها تدور حول رَأْي واحد، وهو: سبعة أصناف من المعاني، كقولهم:

[١] زجر، وأمر، وحلال، وحرام، ومُحْكَم، ومتشابه، وأمثال.

[٢] حلال، وحرام، وأمر، ونهي، وزجر، وخبر ما هو كائن بعد، وأمثال.

[٣] أو وعد، ووعيد، وحلال، وحرام، ومواعظ، وأمثال، واحتجاج.

[٤] أو مُحْكَم، ومتشابه، وناسخ، ومنسوخ، وخصوص، وعموم، وقَصَص.

[٥] أو أمر، وزجر، وترغيب، وترهيب، وجدل، وقَصَص، ومثل ... الخ[3].

أمَّا هذه الأقوال فقد أجمع العلماء على إبطالها، فقد قيل: "إنَّ سياق الأحاديث السَّابقة يردّه، ولا ينطبق عليها بحال"[4]. ذكر الإمام السُّيوطيّ: أنَّ ابن عطية قال: "هذا القول ضعيف؛ لأنَّ الإجماع على التَّوسعة لم تقع في تحريم حلال، وتحليل حرام، ولا في تغيير شيء من المعاني المذكورة. وقال الماورديّ: هذا القول خطأ؛ لأنَّه ﷺ أشار إلى جواز القراءة بكُلّ حرف من الحروف، وإبدال حرف بحرف، وقد أجمع المسلمون على عدم جواز إبدال آية أمثال بآية أحكام)[5].

---

(١) القرطبيّ: التَّفسير، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط/١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ٣٤/١.

(٢) السُّيوطيّ: الإتقان، ٤٥/١.

(٣) المرجع السَّابق، ٤٧/١.

(٤) عبد الجليل عبد الرَّحيم: لغة القرآن الكريم، ص ٧٠.

(٥) السُّيوطيّ: الإتقان، ٤٥/١.

ومن الملاحظ أنَّ الاختلاف الذي وقع بين الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كان في التَّلفُّظ بالأحرف وكيفيّة النُّطق بها، وليس في شيء مِمَّا بيّنوه، ولم يقع سند صحيح في ذلك. كما اقتصر القرطبيّ على نوع واحد، وبيَّن وجهة ضعفه بما نقله عن ابن عطية قال: "وهذا ضعيف؛ لأنَّ هذا لا يُسمَّى "أحرفاً"، وأيضاً فالإجماع على التَّوسعة لم تقع في تحليل حلال، ولا في تغيير شيء من المعاني"[1].

ومِمَّا قيل كذلك: ليس المراد بـ :"السَّبعة" حقيقة العدد، بحيث لا يزيد ولا ينقص؛ بل المراد السّعة والتَّيسير، وأنَّه لا حرج عليهم في قراءته بما هو من لغات العرب. والعرب يطلقون لفظ: "السَّبعة" و"السَّبعين" و"السَّبعمائة" ولا يريدون حقيقة العدد، بحيث لا يزيد ولا ينقص؛ بل يريدون الكثرة والمبالغة من غير حصر، وعلى هذا الحدّ نزل قوله تعالى: ﴿**كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ**﴾ [البقرة: ٢٦١]، وقوله تعالى: ﴿**إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً**﴾ [التَّوبة: ٨٠]. كذا قوله ﷺ : (الإيمان بضع وسبعون شعبة)[2].

وقد رجَّح هذا الرَّأْي الدّكتور/ إبراهيم أنيس، وقد استدلَّ له بما تقدّم، إلاَّ أنَّه قد ذهب إلى أكثر مِمَّا ذهبوا إليه، وقرَّر أنَّ "الأحرف السَّبعة" لا تشمل كُلّ اللَّهجات العربيّة فحسب؛ بل يشمل أيضاً لهجات المسلمين على اختلاف ألسنتهم وأزمانهم، وقد قال: "والفرق بيننا وأصحاب هذا الرَّأْي هو أنَّهم قصروا الأمر على لهجات العرب، في حين أننا نجعله أعم وأشمل، أي إنَّ قصد

(١) القرطبيّ: التَّفسير، ٣٣/١.

(٢) ابن الجرزي: النَّشر، ٢٥/١.

التَّيسير والتَّسهيل يشمل جميع المسلمين على اختلاف ألسنتهم وأزمانهم، في الماضي والحاضر والمستقبل، فليست "الأحرف السَّبعة" التي أُجيز قراءة القرآن بها مقصورة على اللَّهجات العربيّة؛ بل تشمل جميع لهجات المسلمين في جميع بقاع الأرض، فإذا قرأ الهنديّ المسلم أمامنا ولاحظنا بعض الخلافات الصَّوتيّة في نطقه وجب ألاَّ ننكر عليه قراءته. ويقول: فالمسلم أيّاً كانت لهجته، وأيّاً كانت تلك الصِّفات الكلاميّة التي نشأ عليها وتعوّدها ولم يقدر عليها؛ يستطيع أنْ يقرأ القرآن بالقدر الذي تعوّدته عضلات صوته في نطقه بلهجته أو لغته، ويجب ألاَّ ننكر عليه قراءته، فقد حاول بذل الجهد، فله أجر اجتهاده"[1].

وردّاً على هذا القول يقول عبد الجليل عبد الرَّحيم: "هذا القول مردود؛ لأنَّه يشير إلى أنَّ الرَّسول ﷺ قد قرأ القرآن بجميع أوجه الخلاف التي بين اللَّهجات العربيّة، أو أذن لهم أنْ يقرأ كُلّ واحد على لهجته الخاصّة دون سماع منه، وهذا لا أساس له من الصِّحة، لأنَّ الرَّسول ﷺ إنَّما قرأ القرآن كما أنزل عليه، دون أنْ يكون له دخل في اختلاف القراءات، وهذا ما تدلُّ عليه الأحاديث"[2].

كما أنَّ القرآن الكريم قد استبعد كثيراً من اللَّهجات العربيّة الرَّديئة، التي لا تتناسب مع فصاحته وسمو عباراته، نحو: الكشكشة، والعجعجة، والشَّنشنة، والتَّلتلة، وغيرها، فلم يرد لها ذكر حتَّى في القراءات الشَّاذة التي دوَّنها العلماء

(١) إبراهيم أنيس: في اللَّهجات العربيّة، ص ٥٦-٥٧.

(٢) عبد الجليل عبد الرَّحيم: لغة القرآن الكريم، ٧٣.

في مؤلَّفاتهم الخاصّة، مثل: "المحتسب" لابن جنيّ.

كما أنَّ العلماء لم ترض بهذا الرَّأْي؛ لأنَّ الأحاديث تردّه وتنفيه، قال الإمام ابن الجرزي: "إنَّ الحديث يأباه، فإنَّه ثبت في الحديث من غير وجه أنَّه ﷺ لما أتاه جبريل بحرف واحد، قال له: استزده، وأنَّه سأل الله تعالى التَّهوين على أُمّته، فأتاه على حرفين، فأمره ميكائيل بالاستزادة، وسأل الله التَّخفيف، فأتاه بثلاثة، ولم يزل كذلك حتَّى بلغ سبعة أحرف، في حديث بكرة، فنظر إلى ميكائيل فسكت، فعلمت أنَّه قد انتهت العدّة، فدلَّ ذلك على إرادة حقيقة العدد والحصاره"[(١)].

مِمَّا قيل كذلك: إنَّ المراد بـ "الأحرف السَّبعة": قراءات سبع. ذكر الزَّركشيّ أنَّ هذا القول محكي عن الخليل بن أحمد، وقال: "هو أضعف الآراء"[(٢)].

وقد ردَّ العلماء على هذا القول وأجمعوا على بطلانه، قال أبو شامة: "ظَنَّ قوم أنَّ القراءات السَّبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، وإنَّما يُظُنُّ ذلك بعض أهل الجهل"[(٣)]. كما قيل: "إنَّ هذا الحديث من المشكل الذي لا يدرى معناه"[(٤)].

وحُجَّة أصحاب هذا الرَّأْي أنَّ "الحرف" يُطْلَق في اللُّغة على عدّة معانٍ،

(١) ابن الجرزي: النَّشر، ٢٥/١–٢٦.

(٢) الزَّركشيّ: البرهان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط/٢، دون تاريخ، ٣٠٥/١.

(٣) ابن حجر: فتح الباري، ٣٠/٩.

(٤) السُّيوطيّ: الإتقان، ٤٥/١، الزَّركشيّ: البرهان، ٣٥/١، مُحَمَّد أبو شهبة: المدخل لدراسة القرآن، دار اللِّواء، ط/٣، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م، ص ١٧٤.

منهـا: حـرف الهجـاء، والكلمـة، واللُّغـة، واللَّهجـة، والجهـة، ففـي "المعجـم الوسيط": الحرف من كُلّ شيء طرفه وجانبـه.. وكُـلّ حـروف المبـاني الثَّمانيـة والعشرين التي تتركَّب منها الكلمات، وتُسـمَّى: "حـروف الهجـاء"، والحـرف: الكلمة، يقال: هـذا الحـرف لـيس في لسـان العـرب، واللُّغـة، واللَّهجـة، ومـن الحديث: (نزل القرآن على سبعة أحرف)، والطَّريقة الوجه[1].

وردّاً على هذا القول يقول العلماء: "هذا الـرَّأْي لـيس بصـحيح؛ لأنَّـه لا يلزم الإشكال في المشترك اللَّفظيّ إلاَّ إذا لم تقـم قرينـة علـى تعـيين أحـد هـذه المعاني، والأمر هنا بخلاف ذلك، فإنَّ القرينة قد قامت على أنَّ أحدهما هو المراد دون سواه، إذ لا يصح إرادة حرف الهجاء؛ لأنَّ القرآن مركَّب من جميعها، فكيـف يُعْقَل إنزالـه علـى سـبعة منهـا، ولا يصـح إرادة الكلمـة؛ لأنَّ الكلمـات تُعَـدُّ بالآلاف"[2].

أمَّا "الجهة واللَّهجة" فهما أهم، وأصحّ قولين يتمشيان مع دلالة الأحاديث السَّابقة، لكن قد يكون أحدهما أرجح من الآخر، وليتبيّن لنا أيُّهما الأرجـح لا بُدَّ لنا من تتبُّع آراء العلماء وحولهما، فقد قال الرَّسول ﷺ: (اقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أسـتزيده ويزيـدني حتَّـى انتهـى إلى سـبعة أحـرف)[3]. فظاهر المراد من هذا الحديث: إمَّا اللَّهجات المنتشرة بـين العـرب آنـذاك، وإمَّـا

(١) ابن منظور: لسان العرب، (حرف)، طبعة دار صادر، (٤١/٩).

(٢) عبد الجليل عبد الرَّحيم: لغة القرآن، ص ٦٨.

(٣) ابن حجر: فتح الباري، ٢٣/٩.

الأوجه التي يقرأ بها القرآن الكريم، ولكُلٍّ وجه. أمَّا التَّأويلات التي ذهب فيها النَّاس تلك المذاهب فليست مِمَّا يحتمله الحديث.

مِمَّا سبق تبيَّن لنا أنَّ هناك قولان صحيحان حول معنى الحديث، وهما:

أولاً: المراد بالأحرف السَّبعة الأوجه السَّبعة[1]:

وأيّد هذا القول علماء القراءات القرآنيّة منهم: ابن قتيبة، وأبو الفضل الرَّازيّ، وابن الجزري، والقاضي بن الطَّيّب. وقد تبعهم من العلماء المعاصرين أحمد البيليّ[2]. وكُلّ واحد من هؤلاء قد تتبَّع وجوه اختلاف القراءات، ثُمَّ حصرها في سبعة أوجه.

قال ابن قتيبة[3]: "قد تدبَّرت الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة أحرف:

الوجه الأوَّل: الاختلاف في إعراب الكلمة أو في حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يُغيِّر معناها، نحو قوله تعالى: ﴿**هَـؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ**﴾ [هود: ٧٨] و"أطْهَرَ لكم"، ﴿**وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ**﴾[سبأ: ١٧] "وهل يُجازَى إلاَّ الكفور".

والوجه الثَّاني: أنْ يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يُغيِّر معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب، نحو قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا**﴾ [سبأ: ١٩] و"ربنا باعَدَ بين أسفارنا"، وقوله تعالى: ﴿**إِذْ تَلَقَّوْنَهُ**

(١) عبد الجليل عبد الرَّحيم: لغة القرآن الكريم، ص ٧٧.

(٢) أحمد البيلي: المكشاف، الدَّار السُّودانيّ، الخرطوم، ط/١، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، ص ٥٤.

(٣) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، تحقيق أحمد صقر، المكتبة العلميّة، المدينة المنورة، ط/٣، ١٤٠١هـ ١٩٨١م، ص ٣٦-٣٨.

﴿بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ [النُّور: ١٥] و"تلقُونه".

والوجه الثَّالث: أنْ يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يُغيِّر معناها، ولا يزيل صورتها، نحو قوله تعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] و"ننشرها"، وقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ [سبأ: ٢٣] و"فرغ".

والوجه الرَّابع: أنْ يكون الاختلاف في الكلمة بما يُغيِّر صورتها في الكتاب ولا يُغيِّر معناها، نحو قوله تعالى: ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥] و"كالصُّوف".

والوجه الخامس: أنْ يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها، نحو قوله تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٩] و"طلع منضود".

والوجه السَّادس: أنْ يكون الاختلاف بالتَّقديم والتَّأخير، نحو قوله تعالى: ﴿وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق: ١٩]، وفي موضع آخر: "جاءت سكرة الحقّ بالموت".

والوجه السَّابع: أنْ يكون الاختلاف بالزِّيادة والنُّقصان، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ [يس: ٣٥] و"ما عملت أيديهم"، ونحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [لقمان: ٢٦] ـ و"إن الله الغني الحميد".

أمَّا أبو الفضل الرَّازيّ[1] فقال: "الكلام لا يخرج عن سبعة أحرف في الاختلاف:

---

(١) الزّرقانيّ: مناهل العرفان، دار الفكر، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، ١/١٥٥.

الأوَّل: اختلاف في الأسماء، من: إفراد، وتثنية، وجمع، وتذكير، وتأنيث.

والثَّاني: اختلاف في تصريف الأفعال، من: ماضٍ، ومضارع، وأمر.

والثَّالث: اختلاف في وجوه الإعراب.

والرَّابع: الاختلاف بالنَّقص والزِّيادة.

والخامس: الاختلاف بالتَّقديم والتَّأخير.

والسَّادس: الاختلاف بالإبدال.

والسَّابع: اختلاف اللُّغات، كالفتح، والإمالة، والتَّرقيق، والتَّفخيم، والإظهار، والإدغام، ونحو ذلك".

أمَّا الإمام ابن الجزري[1]، فقال: "ولا زلتُ أَسْتَشْكِلُ هذا الحديث، وأُفكر فيه، وأُمعن النَّظر في نيف وثلاثين سنة، حتَّى فتح الله تعالى عليّ بما يمكن أنْ يكون صواباً ـ إنْ شاء الله تعالى ـ، وذلك أنّي تتبّعتُ القراءات، صحيحها وشاذها، وضعيفها ومنكرها، فإذا هو يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه من الاختلاف، لا يخرج عنها ذلك:

[١] إمَّا في الحركات بالتَّغيير في المعنى والصُّورة، نحو (بالبخل) بأربعة، و(يحسب) بوجهين.

[٢] أو بتغيير المعنى فقط، نحو قوله تعالى: ﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ**﴾ [البقرة: ٣٧]، و"أذكر بعد أمّه" و"أمُه".

[٣] وإمَّا في الحروف بتغيير المعنى لا الصُّورة، نحو: "تبلوا"، و"تتلوا".

(١) ابن الجزري: النَّشر، ٢٦/١.

[٤] أو عكس ذلك نحو: "بسطة وبصطة"، و"السِّراط والصِّراط".

[٥] أو بتغييرهما نحـو: "أشـد مـنكم"، و"مـنهم"، و"يأتـل" و"يتـأل"، "فامضوا" إلى "ذكر".

[٦] وإمَّا في التَّقديم والتَّأخير "فيقتلون ويُقتلون"، "وجاءت سـكرة الحـقّ بالموت".

[٧] في الزِّيادة والنُّقصان نحو: "وأوصى" و"وصى" ، و"الذكر والأنثى".

أمَّا القاضي ابن الطَّيّب[1] فيقول: "تدبَّرتُ وجوه الاختلافات في القراءة فوجدتها سبعاً:

[١] منها ما تتغيَّر حركته ولا يزول معنـاه ولا صـورته، مثـل: ﴿**هُـنَّ أَطْهَـرُ لَكُمْ**﴾[هود: ٧٨]ـ وأطهر .

[٢] منها ما لا تتغيَّر صورته ويتغير معناه بالإعراب، مثل: ﴿**رَبَّنَا بَاعِدْ بَـيْنَ أَسْفَارِنَا**﴾ [سبأ: ١٩] و"باعد".

[٣] ومنها ما تبقى صورته ويتغيَّر معناه باختلاف الحروف، مثل قوله تعالى: ﴿**نُنشِزُهَا**﴾ [البقرة: ٢٥٩] و"ننشرها".

[٤] ومنها ما تتغيَّـر صـورته ويبقـى معنـاه، مثـل قولـه تعـالى: ﴿**كَـالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ**﴾ [القارعة: ٥] و"كالصُّوف المنفوش".

[٥] ومنها ما يتغيَّر صورته ومعناه، مثل: ﴿**وَطَلْـحٍ مَّنضُـودٍ**﴾ [الواقعـة: ٢٩] و"طلع منضود".

---

(١) الزّرقانيّ: مناهل العرفان، ٦٠/١.

[٦] ومنها التَّقديم والتَّأخير، مثل: ﴿وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق: ١٩] و"جاءت سكرة الحقّ بالموت".

[٧] ومنها الزِّيادة والنُّقصان، نحو قوله تعالى: ﴿لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ [ص: ٢٣] "وله تسع وتسعون نعجة أنثى".

يقول أحد العلماء: "إذا أردنا أنْ نعقد المقارنة بين هذه الأوجه التي ذكروها، نجد أنَّ ما توصَّل إليه كُلّ من الإمام ابن الجرزي، وابن الطَّيِّب، وابن قتيبة. فالوجه السَّادس عند الرَّازيّ هو الاختلاف بالإبدال، وهو يشمل إبدال الحرف بآخر والكلمة بأخرى، وقد عدَّه الباقون ثلاثة أوجه. الاختلاف في الكلمة بما يُغيِّر صورتها ولا يُغيِّر معناها كـ "زقية" و"صيحة"، و"العهن" و"الصُّوف"، و"فامضوا إلى ذكر الله" و"فاسعوا"[1].

الاختلاف في حروف الكلمة بما يُغيِّر صورتها لا معناها كـ "السِّراط" و"الصِّراط"، و"بسطة" و"بصطة".

وبناءً على ما تقدَّم يكون هؤلاء العلماء، ما عدا أبو الفضل الرَّازيّ، قد ذكروا أربعة أوجه لا سبعة، وهذا يتعارض مع نص الحديث، فلا يصح أنْ تكون تفسيراً له.

وهذا الإبدال الذي ذكره الرَّازيّ، قد قصره على: إبدال الحروف، وإبدال الكلمات، وإبدال الصَّوائت الإعرابيّة، الذي عدَّه اختلافاً في وجوه الإعراب، وأغفل عن إبدال الصَّوائت البنيويّة "الحركات"، والتي عدَّها الإمام

(١) عبد الجليل عبد الرَّحيم: لغة القرآن الكريم، ٨٤.

ابن الجرزي وجهاً وهو تغيير في الحركات بلا تغيير في المعنى، هو: (بالبخُل)، (يحسِب) و(يحسب). بناءً على ذلك يكون ما ذكره الرّازي ثمانية لا سبعة بإضافة هذا الوجه، وهذا مخالف لنص الحديث.

هذا بالإضافة لكلام أبي الفضل الرّازيّ في الوجه السّابع الذي عزاه إلى اختلاف اللُّغات "اللّهجات" غير مستقيم؛ لأنَّ هذه الوجوه السّابقة التي ذكرها كالاختلاف بالإبدال، والاختلاف بوجوه الإعراب، إنّما يرجع لاختلاف اللّهجات، حتّى الاختلاف بالنّقص والزّيادة، والاختلاف بالتّقديم والتّأخير يرجع لاختلاف اللّهجات على الرّغم من أنَّ بعض العلماء لا يعزي هذا النّوع إلى الاختلاف اللّهجيّ وردّاً على ذلك أقول: هذا النّوع من الاختلاف يرجع إلى الاختلاف اللّهجيّ الفرديّ الذي وصفه علماء اللُّغة المحدثين بـ "المغايرة الفرديّة"[1]، والتي أقرّها الرّسول ﷺ منذ أربعة عشر قرناً بقوله: (إنّي بُعثت إلى أُمَّة أُمّيين، منهم الكبير، والغلام، والجارية، والرجل، الذي لم يقرأ كتاباً قط ...)[2]، وطلباً للتّخفيف أقرّ ﷺ ذلك؛ لأنَّ الأفراد يختلفون فيما بينهم في الكلام، فقد ينقص شخص وقد يزيد آخر، وقد يقدّم شخص وقد يؤخّر آخر في الكلام دون أن يختل المعنى.

وقد استندَّ هؤلاء العلماء في تتبُّع وجوه الاختلاف في القراءات على الاستقراء، وقالوا: "إنَّ الاستقراء التّام دليل من جملة الأدلة التي يحترمها المنطق

(١) انظر: صفحة (٣٤) من هذا الباب.

(٢) انظر: التّرمذيّ، السُّنن، ١٩٤/٥. قال أبو عيسى: "هذا حديث حسن صحيح".

القديم والمنطق الحديث"[1].

لكن الملاحظ أنَّ الاستقراء ناقص؛ لأنَّ النَّتائج التي توصَّل إليها كُلٌّ منهم اختلفت، ولو كان الاستقراء تاماً لما اختلفت النَّتائج. وقد احتج العلماء أيضاً بأنَّ هذا الرَّأْي تُؤيّده الأحاديث التي تقدَّم ذكرها. وما نتبيّنه من شرح هذه الأحاديث أنَّ اختلافاً قد حدّث بين الصَّحابة في قراءة القرآن، وأنَّ سبب الاختلاف راجع إلى هذه الأحرف السَّبعة، التي نتجت عن طلب الرَّسول ﷺ من جبريل التَّخفيف والتَّهوين على أُمّته؛ لأنَّها لا تطيق ذلك، فأجابه إلى طلبه، وأمرهم أنْ يقرئهم القرآن على حرفين، ثُمَّ كرَّر الطَّلب، وكرَّر هو الزِّيادة حتَّى بلغت سبعة أحرف.

ومن هذا يتضّح أنَّ في كُلّ حرف منها تخفيفاً وتهويناً على الأُمَّة، وتسهيلاً عليها في قراءة القرآن.

ثانياً: الأحرف السَّبعة هي لهجات سبع:

ذهب إلى هذا الرَّأي جماعة من العلماء منهم: أبو عبيد بن سلام، وثعلب، والأزهريّ، واختاره ابن عطيّة في مقدمة تفسيره، ووصفه بأنَّه المذهب الصَّحيح، وصحَّحه البيهقيّ[2]، و مال إليه الألوسيّ في مقدمة تفسيره[3]، وقد نسبه ابن الجرزي لأكثر العلماء[4]، كما نصت عليه أشهر معاجم اللُّغة العربيّة، فقد قال

(١) الزّرقانيّ: مناهل العرفان، ١٥٧/١.

(٢) الألوسيّ: روح المعاني، الطِّباعة المصريّة، مصر، دون تاريخ، ٢١/١.

(٣) المرجع السَّابق، ٢١/١.

(٤) ابن الجرزي: النَّشر، ٢٤/١.

ابن منظور: "ما جاء في الحديث في قوله ﷺ: (أنزل القرآن على سبعة أحرف)، أراد بالحرف اللُّغة، قال أبو عبيد وأبو العباس: نزل على سبع لغات من لغات العرب. روى الأزهريّ عن أبي العباس أنَّه سُئِلَ عن قوله ﷺ: (نزل القرآن على سبعة أحرف)! فقال: ما هي إلاَّ اللُّغات، قال الأزهريّ: فأبو العباس النَّحويّ ـ وهو واحد عصره ـ قد ارتضى ما ذهب إليه أبو عبيد واستصوبه"[1].

كذلك في "تاج العروس"[2]، وفي "القاموس المحيط"[3]: "نزل القرآن على سبعة أحرف: سبع لغات من لغات العرب".

ويرجِّح هذا الرَّأْي أنَّ الرُّخصة في قراءة القرآن على سبعة أحرف إنَّما جاءت بعد دخول القبائل العربيّة في الإسلام، وأنَّ هذه القبائل كانت تختلف لهجاتها وطريقة أدائها في الكلام، وفي إلزامهم قراءة القرآن على لهجة واحدة فيه عسر ومشقة، فجاءت الرُّخصة بذلك، مِمَّا يرجِّح أنَّ الأحرف السَّبعة هي لهجات سبع.

وأمَّا الدَّليل على أنَّ الرُّخصة جاءت بعد دخول القبائل العربيّة في الإسلام فواضح من الرِّوايات التي تشير إلى أنَّ الاختلاف بين الصَّحابة في قراءة القرآن قد حدث في المسجد، كذلك اللِّقاء بين أمين الوحي جبريل ﷺ وسيدنا مُحَمَّد ﷺ قد تمّ عند "أضاة بني غفار"، وعند "أحجار المراء"،

(١) ابن منظور: لسان العرب، ٣٨٥/١٠–٣٨٦.

(٢) الزّبيديّ: تاج العروس، ٦٨/٦.

(٣) الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ١٢٧/٣.

ومعروف أنَّ المسجد بُنِيَ في المدينة، وأخذ المسلمون يتوجّهون إليه من كُلّ حدب وصوب، و"أضاة بني غفار" و"أحجار المراء" كذلك موضعان بالمدينة.

كذلك إنَّ مفهوم بعض الأحاديث يشير إلى أنَّ النَّبيّ ﷺ كان يرغب في زيادة التَّخفيف على الأُمَّة بنزول القرآن على أكثر من سبعة أحرف، لولا أنَّه نظر إلى ميكائيل فسكت بعد أنْ كان في كُلّ مرّة يأمره بطلب الزِّيادة، فعلم أنَّ العدَّة قد انتهت، وأنَّه غير مأذون له في أكثر من ذلك، ورغبة النَّبيّ ﷺ في الزِّيادة لعلمه بتعدُّد اللَّهجات العربيّة، يقول العلماء: "لعلَّ الحكمة من الاقتصار على ذلك العدد ألاَّ تكون الزِّيادة سبباً في اختلاف المسلمين"[1].

مِمَّا سبق يتضّح لنا أنَّ المراد بالأحرف السَّبعة لهجات سبع، إلاَّ أنَّ القائلين به قد اختلفوا في تحديد هذه اللَّهجات، فقالوا:

الرَّأي الأوَّل: أُنزل القرآن الكريم على سبع لهجات من لهجات العرب المشهورة في كلمة واحدة، تختلف فيها الألفاظ مع اتّفاق في المعاني وتقاربها، وذلك مثل: هلم، وأقبل، وتعال إليّ، ونحوي، وقصدي، وقربي. فإنَّ هذه الألفاظ سبعة مختلفة يُعبَّر بها عن معنى واحد، وهو: طلب الإقبال[2].

وقد استدلَّ هؤلاء العلماء بما أخرجه ابن جرير قال: قال رسول الله ﷺ: (قال جبريل: اقرءوا القرآن على حرفٍ، فقال ميكائيل: استزده، فقال: على حرفين، حتَّى بلغ ستة أو سبعة أحرف، فقال: كُلّها شافٍ كافٍ، ما لم يختم آية

(١) عبد الجليل عبد الرَّحيم: لغة القرآن، ص ٩٤.

(٢) مُحَمَّد أبو شهبة: المدخل لدراسة القرآن، ص ١٧٦.

عذاب بآية رحمة، أو آية رحمة بعذاب، كقولك: هلم، وتعال)[1].

ورُوِيَ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن أبي بن كعب ﷺ أنَّه كان يقرأ: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣] "للذين آمنوا أمهلونا"، "للذين آمنوا أخِّرونا"، "للذين آمنوا أرقبونا"، وكان يقرأ ﴿كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٠] "مرّوا فيه"، "سعوا فيه" إلى غير ذلك مِمَّا رُوِيَ[2].

وما رَوَوْهُ عن أبي بن كعب ﷺ لا يفيد أكثر من أنَّه وجه من وجوه الاختلاف في الأحرف السَّبعة. يقول العلماء: "ثُمَّ أنَّه يستلزم أنْ تكون الأحرف السَّبعة قد زالت ولم يبق منها إلاَّ حرف واحد بعد نسخ عثمان للمصاحف؛ لأنَّ أمثال هذه الأحرف المتغايرة في الصُّورة، المتقارنة في المعنى، ما لا يمكن أنْ يحتمله رسم المصحف، وهذا مخالف لرَأْي جمهور العلماء الذين يرون أنَّ الأحرف السَّبعة لا زالت باقية في قراءة القرآن إلى اليوم، ويحتملها رسم المصحف، وأنَّ ما لا يحتمله فهو مِمَّا نُسِخَ، ثُمَّ أنَّ دلالة الأحاديث لا تُؤيِّد هذه الوجهة، فإنَّ حصر الخلاف الذي وقع بين الصَّحابة ـ الذين أقرأهم الرَّسول ﷺ ـ في هذا الاختلاف في الألفاظ ذات المعاني المتفقة لا دليل عليه"[3].

مِمَّا سبق يتضّح لنا تضعيف العلماء لهذا الرَّأْي.

---

(١) ابن حجر: فتح الباري، ٤٠٣/١٠، الزَّركشيّ: البرهان، ٣١٤/١.

(٢) الزَّركشيّ: البرهان، ٣١٣/١.

(٣) عبد الجليل عبد الرَّحيم: لغة القرآن، ٩٧-٩٨.

الرَّأْي الثَّاني: أنزل القرآن على سبع لهجات من لهجات العرب مع الاختلاف في تعيينها[1].

توفَّرت في هذا الرَّأْي نواحي الاختلاف التي تقتضي التَّيسير والتَّخفيف على الأُمَّة، وهو الأرجح عندي؛ لأنَّه المناسب والأكثر تمشيّاً مع دلالات الأحاديث السَّابقة، فهو يشتمل على جميع أوجه الاختلاف التي بين القبائل العربيّة في نطق وأداء اللُّغة، وفي ذلك تيسير من الله تعالى ورحمة.

قال ابن قتيبة: "فكان من تيسير الله تعالى أنْ أمر نبيّه ﷺ بأنْ يُقرئ كُلّ أُمَّة بلغتهم وما جرت به عاداتهم، فالهذليّ يقرأ: "عتى حين" يريد: ﴿**حَتَّى حِينٍ**﴾ [المؤمنون: ٥٤]، وأنَّه هكذا يلفظ بها ويستعملها، والأسديّ يقرأ: "تعلمون"، "تعلم"، ﴿**وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ**﴾[آل عمران: ١٠٦]، و﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ**﴾ [يس: ٦٠] بكسر حرف المضارعة، والتَّميميّ يهمز، والقرشيّ لا يهمز، والآخر يقرأ: "قيل لهم"، و"غيض الماء"، بإشمام الضَّم الكسر، وأيضاً ﴿**هَـذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا**﴾[يوسف: ٦٥] بإشمام الكسر الضَّم، و﴿**مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ**﴾ [يوسف: ١١]، بإشمام الضَّم مع الإدغام. ولو أنَّ كُلّ فريق من هؤلاء أمر أنْ يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلاً، وناشئاً، وكهلاً، لاشتدَّ ذلك عليه، وعَظُمَت المحنة فيه، ولم يمكنه إلاَّ بعد رياضة للنَّفس طويلة، وتذليل للِّسان، وقطع للعادة، فأراد الله تعالى ـ برحمته ولطفه ـ أنْ يجعل لهم متسعاً في اللُّغات،

(١) الثَّعالبيّ: التَّفسير، موسوعة الأعلميّ، بيروت، لبنان، دون تاريخ، ١٦/١، والألوسيّ: التَّفسير، ٢١/١.

ومتصرّفاً في الحركات، كتيسيره عليهم في الدِّين"[1].

أمَّا هذه اللُّغات السَّبع الـتي نـزل بهـا القـرآن فقـد اختلـف العلمـاء في تعيينها:

قال السُّيوطيّ: "قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: نزل القرآن على سبع لغات، منها خمس بلغة العجز من هوازن، قال: العجز: سعد بـن بكـر، وجشـم بن بكر، ونصر بن معاوية، وثقيف، وهؤلاء كُلّهم من هوازن، ويقال لهم: عليـاء هوازن، ولهذا قال ابن العلاء: أفصح العرب عليا هوازن، وسفلى تميم"[2].

وأخرج أبو عبيدة عن ابن عباس ـ رضي اله عنهما ـ قال: "أنـزل القـرآن بلغة الكعبين: كعب قريش، وكعب خزاعة، قيل : وكيـف ذاك؟ قـال: لأنَّ الـدَّار واحدة ـ يعني أنَّ خزاعة كانوا جيران قريش ـ فسهلت عليهم لغتهم"[3].

قال أبو حاتم السّجسـتانيّ: "نـزل بلغـة: قـريش، وهـذيل، وتمـيم، والأزد، وربيعة، وهوازن، وسعد بن بكر"[4].

وقال أبو عبيد: "ليس المـراد أنَّ كُـلّ كلمـة تقـرأ علـى سـبع لغـات؛ بـل اللُّغات السَّبع مفرَّقة فيه، فبعضه بلغة قـريش، وبعضـه بلغـة هـوازن، وبعضـه بلغة هذيل، وبعضه بلغة اليمن، وغيرهم، وبعض اللُّغات أسعد به من بعـض

(١) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، ٣٩/١.

(٢) السُّيوطيّ: الإتقان، ٤٧/١.

(٣) المرجع السَّابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) المرجع السَّابق نفسه.

وأكثر نصيباً"[1].

وقيل: "نزل بلغة مضر، لقول عمر بن الخطاب ﷺ: نزل القرآن بلغة مضر. وعيَّن بعضهم السَّبع من مضر، أنَّهم: هذيل، وكنانة، وقيس، وضبيعة، وتيم الرّباب، وأسد بن حزيمة، وقريش، فهذه قبائل مضر تستدعي سبع لغات"[2].

وإذا نظرنا في هذه الأقوال السَّابقة لا نستطيع أنْ نجزم بأيّة هذه السَّبع نزل القرآن؛ لأنَّه ليس هناك دليل عليها. لكن أرجح الأراء عندي التي تقول: إنَّ القرآن نزل بأفصح لهجات العرب، وأحسب أنَّه الصَّواب، وقد ذهب إلى هذا الرَّأْي كثير من العلماء، وذلك أنَّه من الواضح أنَّ القرآن في أعلى درجات الفصاحة والبلاغة، وأنَّه قد تخيَّر من لغات العرب أفصحها وأعذبها، وأفصح لغات العرب كما قال العلماء: "هي تلك اللُّغات التي عاش أصحابها في بعد عن مخالطة الأعاجم، وهي التي اعتمد عليها العلماء في تدوين اللُّغة العربيّة الفصحى، وإذا نظرنا في هذه اللُّغات لا نجدها تتعدى سبع لهجات من لهجات العرب".

قال السُّيوطيّ: "والذين عنهم نقلت اللُّغة العربيّة، وبهم أقتدي، وعنهم أخذ اللِّسان العربيّ من بين لغات العرب هم: قيس[3]، وتميم، وأسد، فإنَّ هؤلاء

(١) المرجع نفسه.

(٢) السُّيوطيّ: الإتقان، ٤٧/١.

(٣) من قبائل قيس: هوازن، وفي هوازن بنو سعد بن بكر، وكان رسول الله ﷺ مستوضعاً فيهم.

هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم أتكل في الغريب وفي الإعـراب والتَّصريف، ثُمَّ هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطَّائيين، ولم يؤخـذ عـن غيرهـم من سائر قبائلهم"[1].

وبالجملة فإنَّه لم يؤخذ عن حضريّ قط، ولا عن سكان البراري مِمَـنْ كـان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم، فإنَّـه لم يؤخـذ لا مـن "لخم" ولا من "جـزام"، لمجـاورتهم أهـل مصـر والقـبط، ولا مـن "قضـاعة" و"غسّان" و"إياد" لمجاورتهم أهل الشَّام، وأكثرهم نصارى يقـرءون بالعبرانيّـة، ولا من "تغلب" و"اليمن" فإنَّهم كانوا بـالجزيرة مجـاورين لليونـان، ولا مـن "بكر" لمجاورتهم للقبط والفرس، ولا من "عبد القيس" و"أزد عمان" لأنَّهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من "أهل اليمن" لمجاورتهم للهند والحبشة، ولا من "بني حنيفة" و"سكان اليمامة"، ولا من "ثقيـف"، و"أهـل الطَّائف" لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم، ولا مـن "حاضـرة الحجـاز"، لأنَّ الذين نقلوا صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خـالطوا غيرهـم من الأمم وفسدت ألسنتهم"[2].

مِمَّا تقدَّم يتضّح لنا أنَّ أفصح لهجات العـرب هـي لهجـات هـذه القبائـل السِّت، بالإضافة إلى لهجة قريش[3]، فهذه هي اللَّهجات السَّبع التي انتهت إليها

(١) السُّيوطيّ: المزهر، ٢١١/١.

(٢) السُّيوطيّ: المزهر، ٢١١/١-٢١٢.

(٣) عبد الجليل عبد الرَّحيم: لغة القرآن، ١٠٧.

الفصاحة، وأحسب أنَّها هي التي اختارها الله تعالى لينزل بها كتابه العزيز، ويظهر بها معجزة نبيّه ﷺ.

وبعد وقوفنا على مختلف الآراء حول نزول القرآن الكريم بلهجات العرب المختلفة، وترجيح ما اعتقدنا أنَّه الأصوب، نقول: مهما يكن من أمر صحة هذه الآراء؛ فإنَّ الدِّراسات اللُّغويّة والدِّراسات القرآنيّة أثبتت أنَّ في القرآن لهجات، وأنَّ هذه اللَّهجات ليست عاميّات كما يتبادر إلى ذهن البعض، وإنَّما تُمثِّل قمة الفصاحة، وهذا ما أردنا التَّوصُّل إليه.

المبحث الثَّاني: مواضع الخلافات اللَّهجيّة في القرآن الكريم:

إنَّ الخلافات اللَّهجيّة للغة ما لا تعدو أنْ تكون خلافات صوتيّة أو صرفيّة أو تركيبيّة أو دلاليّة، وقد تحقَّقت هذه الخلافات في لهجات القرآن الكريم، في بنياته الصَّوتيّة والصَّرفيّة بالآتي:

أوَّلاً: الفتح والإمالة:

مثل قوله تعالى: ﴿**خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ**﴾ [البقرة: ٧]، "أبصار" لهجة أهل الحجاز، و"أبصار" لهجة تميم، قيس، أسد.

وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [المائدة: ٥٧]، "الكفار" لهجة أهل الحجاز، "الكفار" لهجة تميم، قيس، أسد.

وقوله تعالى: ﴿**طه**﴾ [طه: ١]، "طه" لهجة أهل الحجاز.

ثانياً: الإدغام والإظهار:

مثل قوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤][١]، "إذ تقول" لهجة الحجاز، و"أتقول" لهجة تميم، قيس، أسد.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٣٦][٢]، "هل ثوب" بفك الإدغام لهجة الحجاز، "هثوب" بالإدغام لهجة تميم، أسد.

وقوله تعالى: ﴿... وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧][٣]، "يرتدد" فك الإدغام لهجةالحجاز، "يرتدّ" لهجة تميم، أسد، قيس.

ثالثاً: الإبدال بين أصواتها:

مثل قوله تعالى: ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ﴾ [البقرة: ١٧٤]، "يأكلون" ـ بتحقيق الهمزة ـ لهجة تميم، قيس، "ياكلون" إبدال الهمزة ألفاً لهجة أهل الحجاز، قريش.

وقوله تعالى: ﴿... وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]، "الرأس" بتحقيق الهمزة لهجة تميم، قيس، و"الراس" بإبدال الهمزة ألف لهجة الحجاز، قريش.

---

(١) انظر: ابن غليون: التَّذكرة، تحقيق سعيد صالح زعيمة، دار ابن خلدون، ط/١، ٢٠٠٠م، ٢١٦/١.

(٢) انظر: أبو حيّان: البحر المحيط، دار الفكر، ط/٢، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، ٤٤٣/٨.

(٣) انظر: الأزهريّ: شرح التَّصريح على التَّوضيح، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط/١، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٥]، "حتى حين" ـ بإثبات الحاء ـ لهجة عامة العرب، "عتى حين" ـ بإبدال الحاء عيناً ـ لهجة هذيل.

وقوله تعالى: ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٤]، "خاسئاً" ـ بتحقيق الهمزة ـ لهجة تميم، أسد، قيس، و"خاسياً" ـ بإبدال الهمزة ياء ـ لهجة قبائل الحجاز.

وقوله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤] ، "مؤذن" ـ بتحقيق الهمزة ـ لهجة تميم، قيس، و"موذن" ـ بإبدال الهمزة واواً ـ لهجة أهل الحجاز.

وقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ ...﴾ [البقرة: ٢٧٣] (١)، "يحسبهم" ـ بإثبات فتح السِّين ـ لهجة تميم، و"يحسبهم" ـ بإبدال الفتح كسراً ـ لهجة أهل الحجاز.

وقوله تعالى: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠] (٢)، "رَبوة" ـ بفتح فاء الكلمة ـ لهجة غير منسوبة، "رُبوة" ـ بضم فاء الكلمة ـ لهجة أهل الحجاز، هذيل.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو

(١) انظر: أبو حيّان، البحر المحيط، ٣٢٨/٢.

(٢) انظر: البناء: إتحاف فضلاء البشر، دار النَّدوة، بيروت، لبنان، دون تاريخ، ص ١٦٣.

﴿اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] [١].

رابعاً: حذف بعض الأصوات وإثباتها:

مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾ [البقرة: ١٤] "مستهزءون" ـ بإثبات الهمزة ـ لهجة تميم، قيس، "مستهزون" ـ بحذف الهمزة ـ لهجة قبائل الحجاز.

وقوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩][٢]، "بشرك" ـ بتضعيف الرَّاء ـ لهجة أهل العالية، أهل الحجاز، "يبشرك" ـ بتخفيف الرَّاء بحذف إحداها ـ لهجة تميم.

وقوله وتعالى: ﴿وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة: ٣٥][٣] "رغداً" ـ بإثبات الفتح ـ غير منسوبة، "رغدا" ـ حذف الفتح ـ لهجة تميم.

وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: ١٦٨][٤] "خطوات" ـ بإثبات الضَّم تثقيلاً ـ لهجة أهل الحجاز، "خطوات" ـ بحذف الضَّم من عين الكلمة تخفيفاً ـ لهجة تميم.

---

(١) انظر: البناء: إتحاف فضلاء البشر، ص ٣٥٤.

(٢) انظر: أبو حيّان: البحر المحيط، ١٠٩/١.

(٣) انظر: المرجع السَّابق، ١٥٥/١.

(٤) انظر: القيسيّ: الكشف عن وجوه القراءات، مؤسسة الرِّسالة، بيروت، لبنان، ط/٢، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، ٢٧٣/١-٢٧٤. وانظر: أبو حيّان: البحر المحيط، ٤٧٧/١.

خامساً: الإشمام:

وذلك مثل قول الله تعالى: ﴿**اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ**﴾ [الفاتحة: ٦][1]، "الصراط" ـ بإخلاص الصَّاد ـ لهجة قريش، و"الصراط" ـ بإشمام الصَّاد الزَّاي ـ لهجة قيس.

وقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ**﴾ [البقرة: ١١][2].

كذلك من الخلافات في لهجات القرآن الكريم، خلافات في الوحدات الدّلاليّة المترادفة والمتباينة، ومن ذلك نحو قول الله تعالى: ﴿**وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ [البقرة: ١٤٩][3]، "شطر" لهجة غير منسوبة، لكن في اعتقادنا لهجة عامّة العرب، "تلقاء" لهجة كنانة ... الخ.

وقول الله تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ**﴾ [البقرة: ١٨٠][4] الوحدة الدّلاليّة "خيراً" ـ بمعنى مالاً ـ على لهجة جرهم.

وقوله تعالى: ﴿**مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ**

(١) انظر: أبو حيّان: البحر المحيط، ٢٥/١.

(٢) انظر: المرجع السَّابق، ١٩٠/١-١٩١.

(٣) انظر: الجلالين: التَّفسير، دار الحديث، القاهرة، ط/١، دون تاريخ، ١٢٦/١.

(٤) انظر: ابن الهائم: التِّبيان في تفسير غريب القرآن، ص ١٢٠.

هَوَاء﴾ [إبراهيم: ٤٣][1]، الوحدة الدّلاليّة "مقنعي" ــ بمعنى ناكسوها ـ على لهجة قريش.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ [الأحزاب: ٢٦][2]، الوحدة الدّلاليّة "صياصيهم" ـ بمعنى حصونهم ـ على لهجة عيلان... الخ.

(١) انظر: السُّيوطيّ: الإتقان، ١٣٤/١.

(٢) انظر: المرجع السَّابق نفسه، والصفحة نفسها.